فى سيدى بشر

للأستاذ خليل شيبوب

سلوتُ أحلامى وآمالى ... فأكسبتنى راحةَ البالى
وحينما عدتُ إلى العقل لم ... أجد بديلَ الحال من حالى
ما قيمةُ العقل أراني به ... أهتاجُ بالتفكير بلبالى

إن الورى حربٌ على جائع ... كما يريدون إلى السِّلْم
كلامُهم أسخفُ من صمتهم ... يجرى على ألسنةٍ بُجْم
هذا وذا ويلٌ ألا إنهم ... كالبَبَّغاوات بلا فهْم

يا خلجاتِ الصدر طال الأسى ... وطال هذا القلقُ فى صدرى
إن كنتِ آليتِ لتحصينَ لى ... عمرى لقد أفسدتِ لى عمرى
فطرتِ فى صدرى بالقلقْ ما ... تفعله الفطرةُ فى الصخر

نزلتُ سيدى بشر مستشفياً ... مما بصدرى من أسىً نازِل
فى جنةٍ صيَّرتُها عُزلةً ... ليس بها غيرىَ من آهِل
طريدةُ الجناتِ يثوى بها ... طريدُ هَمٍّ لازبٍ قاتِل

ينعشها البحرُ بأنسامِه ... تهبُّ والشاطىء منها بعيدْ
هنالكَ الأقوامُ قد آثروا ... عيشَ اصطخاب وزحامٍ عهيدْ
وههنا الأمنُ لمستنجدٍ ... بالأمن من ذاك الصراع المتيدْ

صحراء إلا أن واحاتها ... معروشة الأشجار بين الرمال
مثلَ بقايا الحبِّ فى مهجة ... أحرقها اليأسُ وكرُّ الليال
قد حَفلتْ بالحسن داراتُها ... واتسقتْ فى صدرها كاللآل

تطيفُ بى منعرجاتُ اللوى ... كل كثيبٍ معقلٌ ناهضُ
والرمل معقودُ الثَّنايا به ... يستمسك الرافعُ والخافضُ
أُلقى بجسمى فوقه متعباً ... يثورُ فيه قلبىَ النابضُ

قلبى أدارِيه هنا ما كفا ... عليه وهو الهادىء الرادع
أخشى عليه رَجعات الهوى ... إنَّ الهوى أقتلُه الراجع

يلزم الصَّمْتَ ولكنى ... رَوَّعَ لبى صمتُه الرائع

ألم تزلْ تذكرُها بعدما ... عرفتَها فى الحب خوَّانهْ
حبيبةٌ كانت وزالت وهل ... تدومُ للانسان إنسانَهْ
والحب لو صفَّيْتَه وازناً ... لرَجَّح الزَّائفُ ميزانَهْ

يا هذهِ لو ينفعُ العَقْل فى (م) الهوى لحكمتُ لك العقلا
وهبتك العمرَ فلم تُحسنى ... أخذاً له بل زدتِه خَبْلا
وإنَّ حسنَ الأخذِ فضلٌ وما ... عرفتِ يوماً ذلكَ الفضلا

لاَحقنى طيفُك فى عزلتى ... ماذا يريدُ الطيفُ من ناسى
ألا أرى لى راحةً بعد ما (م) اعتصَمْتُ بالبعدِ عن الناس
إن ضلالى لىَ عينُ الهدى ... ووحشتى مؤنسُ إيناسى

ياليلَ سيدى بشر رِفْ على ... وجهى بشف من نسيم البحار
ينتعش القلبُ به بعدما ... أوقدَ فيه اليأسُ أتوُن نارْ
روائحُ الأمواج والرمل فى ... بردَيه تشفى من لهيب الأُوارْ

ترمقنى هذى النجومُ التى ... فوق بعين الشاهد الشَّفِق
والأفق مبهوتُ الحواشى به ... يختلطُ الأسودُ بالأزرق
والنيمُ قد راحت جماعاتُه ... طارِدَ المغرب والشرق

وخيَّم الصمتُ فلا نأمةٌ ... إلا قطارٌ صافرٌ يعبرُ
له صدًى فى الرمل ترجيعُه ... هريرُ كلبٍ جاثمٍ يخفر
وغارت الأعلام فى حلكةٍ ... تحدجها العينُ ولا تبصر

ثم تراءى قمرٌ طالعٌ ... فى الشرق خلفَ النيم مستهلاَ
أكدرُ إلا أنه كلما ... علا صفت صفحتُه وانجلى
وفضَّض الرمل بأضوائه ... فرقَّ ثوبُ الليل مسترسلا

يا ربِّ هذى ساعةٌ سرها ... يملأُ نفسى فيضُه الغامر
يكاد ينشقُّ بها الغيبُ لى ... عما حواه العالمُ الآخرُ
إن كان نام الكونُ حولى فهل ... يكفيكَ منه قلبى الساهرُ

خليل شيبوب